سبحانه بالكل وبالواجب ان يكون عليه الكل حتى يكون على احسن النظام وبان ذلك واجب عن احاطته به فيكون الموجود
المعلوم من غير انبعاث قصد وطلب من الاول الحق سبحانه وبعلمه تعالى بكيفية الصواب في ترتيب الكل هو المنبع لتقتضيان الوجود
في الكل القول الثاني قول حكاه ابو القسم البلخي عن قدماء الفلاسفة والديكان يذهب محمد بن زكريا الرازي من المتاخرين
وهو ان علة خلق الباري سبحانه للعالم تنبيه النفس على ان ما يرونه من الهيولى ويريه غير ممكن لترفض محبتها اياها وعشقها
لها وتعود الى عالمها الاول غير مشتاقة الى هذا العالم واعلم ان هذا القول الكلي عن الحرمانية اصحاب القدماء الخمسة
وحقيقة مذهبهم اثبات قدماء خمسة اثنان منهما حيان فاعلان وهما الباري سبحانه والنفس ومرادهم بالنفس ذات هي
مبدأ السلب للنفوس التي في العالم كالارواح البشرية والقوى النباتية والنفوس الفلكية ويسمون هذه الذات النفس الكلية
وواحد من الخمسة منفعل غير حي وهو الهيولى واثنان لا حيان ولا فاعلان ولا منفعلان وهما الدهر والفضاء قالوا
والباري تعالى هو مبدأ العلوم والمنفعلات وهو قايم والحكمة كان النفس مبدأ الارواح والنفوس فالعلوم والمنفعلات
تفيض من الباري سبحانه فيض النور عن قرص الشمس والنفوس والارواح تفيض عن النفوس الكلية فيض النور عن القرص
الا ان النفوس جاهلة لا تعرف الاشياء الا على احد وجهين اما ان تفيض بفيض الباري تعالى عليها تعقلا وادراكا
واما ان تمارس غيرها وتمازجه فيعرف ما يعرف باعتبار الممارسة والمخالطة معرفة ناقصة وكان الباري سبحانه في
الازل عالما بالنفس بميل التعلق بالهوى وتعشقها وتطلب اللذة الجسمانية وتكره مفارقة الاجسام وتنسى نفسها
ولما كان الباري سبحانه قايم العلم والحكمة اقتضت حكمته تركب الهيولى لما تعلقت النفس بها ضروريا مختلفة من
التراكيب فجعل ضروريا وعناصر وحيوانات ونباتات وافاض على النفوس تعقلا وشعورا جعله سببا لتذكرها
عالمها الاول ومعرفتها انها ما دامت في هذا العالم مخالطة للهيولى لم تنفك عن الالام فيصير ذلك مقتضيا شوقها الى
عالمها الاول الذي لها فيه اللذات الخالية عن الالام ورفضها هذا العالم الذي هو سبب اذاها وقصرها القول الثالث
قول المجوس ان الغرض من خلق الخلق ان يتحصن الخالق جل اسمه من العدو وان يحصل العالم شبكة له ليوقع العدو فيه
ويجعله في ربط ووثاق والعدو عندهم هو الشيطان وبعضهم يعتقد قدمه وبعضهم يعتقد حدوثه قال قوم منهم
ان الباري عز وجل استوحش تفكر فكرة ردية فتولد منها الشيطان وقال الاخرون بل شك شكا رديا فتولد الشيطان
من شكه وقال الاخرون بل تولد من عفونة ردية قديمة وزعموا ان الشيطان خارج الباري سبحانه وكان في الظلم
لم يزل معزولا عن سلطان الباري سبحانه فلم يزل يزحف حتى راى النور فوثب وثبة عظيمة فصار في سلطان الله تعالى
في النور وادخل معه الافات والبلايا والشرور فبنى الله سبحانه هذه الافلاك والارض والعناصر شبكة له وهو فيها
محبوس لا يمكنه الرجوع الى سلطانه الاول والظلمة فهو ابدا يضطرب ويرمي الافات على خلق الله سبحانه فمن احياه الله
رماه الشيطان بالموت ومن اصحه رماه الشيطان بالسقم ومن سره الله رماه بالحزن والكابة فلا يزال كذلك وكل
يوم ينتقص سلطانه وقوته لان الله تعالى يحتال له كل يوم ويضعفه الى ان تذهب قوته كلها ويجمد ويصير جمادا لا حراك
به فيضعفه الله تعالى ح في الجو والجو عندهم هو الظلمة ولا منتهى فيصير في الجو جمادا جامدا هوائيا ويجمع الله تعالى اهل
الاديان فيعذبهم بقدر ما يطهرهم وبصرفهم من طاعة الشيطان ويغسلهم من الادناس ثم يدخلهم الجنة وهي
جنة لا اكل فيها ولا شرب ولا تمتع ولكنها موضع لذة وسرور القول الرابع قول المانوية هو ان النور لا نهاية له من جهة
تحت فله نهاية والظلمة لا نهاية لها من جهة اسفل واما من جهة فوق فله نهاية وكان النور والظلمة هكذا قبل
خلق العالم وبينهما فرجة وان بعض اجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر الى الظلمة فاسرت الظلمة فاقبل عالم كثير من
النور فحاربت الظلمة ليستخلص الماسورين من تلك الاجزاء وطالت الحرب واختلط كثير من اجزاء النور بكثير من اجزاء
الظلمة فامر حكيم نور الانوار وهو الباري سبحانه عندهم ان عمل الارض من لحوم القتلى والجبال من عظامهم والبحار
من صديدهم ودمائهم والسماء من جلودهم وخلق الشمس والقمر وسيرهما لاستقصاء ما في هذا العالم من اجزاء النور المختلطة
باجزاء الظلمة وجعل حول العالم خندقا خارج الفلك الاعلى يطرح فيه الظلام المستقصى فهو لا يزال يزيد ويتضاعف ويكثر
في ذلك

العلوم الحكمة العلم
قرص الشمس
فيضعفه الله

١٩١

في ذلك الخندق وهو ظلام صرف قد استقصى نوره واما النور المستخلص فيلحق بعد الاستقصاء بعالم الانوار من فوق فلا
تزال الافلاك متحركة والعالم مستمرا الى ان يتم استقصاء النور الممتزج وح يبقى من النور الممتزج شيء منعقد بالظلمة لا
تقدر النيران على استقصائه فعند ذلك تسقط الاجسام العالية وهي الافلاك على الاجسام السافلة وهي الارضون
وتفور نار تضطرب في تلك الاسافل وهي المسماة بجهنم ويكون الاضطرام مقدار الف واربعمائة سنة فتحلل تلك النار
تلك الاجزاء المنعقدة من النور الممتزجة باجزاء الظلمة التي عجز الشمس والقمر عن استقصائها فترتفع الى عالم الانوار
ويبطل العالم ح ويعود النور كله الى حالته الاولى قبل الامتزاج فكذلك الظلمة القول الخامس قول متكلمي الاسلام وهو
على وجوه اولها قول جمهور اصحابنا ان الله تعالى انما خلق العالم للاحسان اليهم والانعام على الحيوان لان خلقه حيا
نعمة عليه لان حقيقة النعمة موجودة فيه وذلك ان النعمة هي المنفعة المفعولة للاحسان ووجود الجسم حيا منفعة
مفعولة للاحسان اما بيان كون ذلك منفعة فلان المنفعة هي اللذة والسرور ودفع المضار المخوفة وما ادى
الى ذلك وصححه الا ترى ان من اشرف على ان يهوي من جبل فمنعه بعض الناس من ذلك فانه يكون منعما عليه ومن سر
غيره بامر واوصل اليه لذة يكون قد انعم عليه ومن دفع الى غيره مالا يكون قد انعم عليه لانه قد مكنه بدفعه اليه
من الانتفاع وصححه له ذلك ولانه وان اوجدنا احياء فصح لنا اللذات ومكننا منها لانا لو لم نكن احياء لم يصح ذلك
فينا قالوا وانما قلنا ان هذه المنفعة مفعولة للاحسان لانها اما مفعولة لا لغرض او لغرض والاول باطل لان ما يفعل
لا لغرض عبث والباري سبحانه لا يصح ان يكون افعاله عبثا لانه حكيم واما الثاني فاما ان يكون ذلك الغرض
عائدا عليه سبحانه بنفع او دفع ضرر او يعود على غيره والاول باطل لانه غني لذاته يستحيل عليه المنافع والمضار فلا
يجوز ان يفعل المضرة ليوصلها الى غيره لان القصد الى الاضرار بالحيوان من غير استحقاق ولا منفعة يوصل اليها
قبيح يتعالى الله عنه فثبت انه سبحانه انما خلق الحيوان لنفعه واما غير الحيوان فلو لم يفعله لينتفع به الحيوان لكان
خلقه عبثا والباري تعالى لا يجوز عليه العبث فاذا جميع ما في العالم انما خلقه لينتفع به الحيوان فهذا هو الكلام في علة
خلق العالم عندهم واما الكلام في وجه حسن تكليف الانسان فذاك مقام آخر لسنا الآن في بيانه ولا الحاجة داعية
اليه وثانيها قول قوم من اصحابنا البغداديين انه خلق الخلق ليظهر به لارباب العقول صفاته الحميدة وقدرته
على كل ممكن وعلمه بكل معلوم وما يستحقه من الثناء والحمد قالوا وقد ورد في الخبر انه تعالى قال كنت كنزا لا اعرف فا
ان اعرف وهذا القول ليس بعيدا وثالثها للمجبرة انه خلق الخلق لا لغرض اصلا ولا يقال لم قالوا كل شيء لعلة ولا علة
لفعله ومذهب الاشعري واصحابه ان ارادته القديمة تعلقت بايجاد العالم في الحال التي وجد فيها لذاتها ولا لغرض
ولا لداع وما كان يجوز ان لا يوجد العالم حيث وجد لان الارادة القديمة لا يجوز ان تنقلب وتتغير حقيقتها وكذلك
القول عندهم في اجزاء العالم المحدودة من الحركات والسكنات والاجسام وساير الاعراض ورابعها قول بعض المتكلمين
ان الباري تعالى انما فعل العالم لانه ملتذ بان يفعل والجاء ارباب هذا القول عليه اللذة والسرور والابتهاج قالوا
والباري سبحانه وان كان قبل ان يخلق العالم ملتذا بكونه قادرا على خلق العالم الا ان لذة الفعل اقوى من لذة
القدرة على الفعل كانه يلتذ بانه قادر على ان يكتب خطا مستحسنا او يبني بناء محكما فانه اذا اخرج تلك الصناعة
من القوة الى الفعل كانت لذته اتم واعظم قالوا ولم يثبت بالدليل العقلي استحالة اللذة عليه وقد ورد في الاثار
النبوية ان الله تعالى فسر واتفقت الفلاسفة على انه ملتذ بذاته وكماله وعندي في هذا القول نظر ولي في اللذة
والالم رسالة مفردة واما قولهم لم يحل في الاشياء فيقال هو فيها كاين ولا باين منها فيقال هو فيها مباين فينبغي انه يحمل انه
اراد عليه السلام انه لم يكن في الاشياء كاينا فيقال هو باين بالمكان هكذا ينبغي ان يكون مراده عم لانه لا يجوز اطلاق
القول بانه ليس بباين عن الاشياء وكيف والمجرد بالضرورة باين عن ذي الوضع ولكنها بينونة بالذات لا بالجهة
والمسلمون كلهم متفقون على انه تعالى يستحيل ان يحل في شيء الا اعتزالى الاسلام من الحلولية كالذين قالوا بحلوله في
علي وولده وكالذين قالوا بحلوله في اشخاص يعتقدون فيها اظهاره كالحلاجية وغيرهم والدليل على استحالة الحلول

Copyright ... University